مؤمن أحمد فاروق
مقالات
عِلْمُ مَا وَرَاءَ النَّفْس

الجانب الآخر

منذ الأزل والموت ظاهرة تستثير اهتمام الإنسان وخياله، وتجعله في سعي دؤوب لا ينتهي لفهم ما سيحدث بعد الموت، حتى ظهرت ظاهرة الاقتراب من الموت، فبدأت دراسة الظاهرة والآثار المترتبة عليها، لنكتشف بعد دراسات طويلة ومعقدة أنها تعطي بعض التلميحات لمرحلة ما بعد الموت. وكان غالبًا ما يقول الأشخاص الذين خاضوا تجربة الاقتراب من الموت، إنهم اختبروا أحداثًا لما أسموه "الجانب الآخر."

في فبراير 2006، تم نقل "أنيتا مورجاني" مؤلفة كتاب "أموت كي أكون أنا" إلى المستشفى، حيث كانت مريضة بالسرطان الذي نهش جسمها. كان مرضها في درجة متقدمة، مما دفع الأطباء إلى إخبار عائلتها أن أمامها فقط ساعات لتموت. وبعد غيبوبة دامت لثلاثين ساعة استعادت "أنيتا" وعيها، ثم حكت ما رأته في منامها خلال تلك الساعات الثلاثين، وقد أكدت أنها شهدت العديد من التفاصيل المميزة لتجربة الاقتراب من الموت. دعني أولاً أخبرك ما هي تجربة الاقتراب من الموت. أنها التجربة الأكثر واقعية في حياتك، وأنت تطفو

بعيدًا عن جسمك وتنظر إلى وجهك. لديك خوف من النفق المظلم الذي تسير فيه، فتسرع من خطواتك نحو الضوء الذي في نهاية الممر، وأنت تحاول السيطرة على دقات قلبك من الخوف، وفجأة يتدفق شلال هادر من الذكريات كالرعد في رأسك، هذه ذكريات أتت دون رغبة منك، ولكنك عندما تصل الى نهاية النفق وترى كائنات يرتدون ملابس بيضاء، وترى أيضا أحبابك وأصدقائك المتوفين، تطرب روحك كما يطرب قلبك.

وكان هذا ما ذكرته "أنيتا"، وذكرت أيضا أنها لم تكن تريد العودة، ولكن أفضل صديق لها أخبرها أنها بحاجة إلى العودة و "أن تعيش حياتها بلا خوف ."

وبعد خروجها من غيبوبتها، تقلصت أورام "أنيتا" بنسبة سبعين بالمئة تقريبًا في غضون أربعة أيام، وفي غضون خمسة أسابيع، كانت خالية من السرطان وخرجت من المستشفى، على الرغم من أنها اضطرت إلى قضاء بضعة أشهر في العلاج الطبيعي لاستعادة قوتها واستخدام كل عضلاتها وأطرافها .

يُعرف الدكتور بيم فان لوميل تجربة الاقتراب من الموت بقوله:

"لقد أفاد بعض الناس الذين نجوا من أزمة هدَّدت حياتهم، عن تجربة استثنائية وهي تجربة الاقتراب من الموت، ويزداد عدد هذه التجارب للتقدم الحاصل في التقنية المتطورة

للإنعاش. إنَّ ما تضمنته هذه التجارب وتأثيرها على المرضى يبدو متشابها في جميع أنحاء العالم، وفي جميع الثقافات والأزمنة."

أضف لهذا دراسات قام بها باحثون على أفراد مروا بتجارب الاقتراب من الموت، واشخاص تناولوا واحدة من مائة وخمسة وستون عقارًا نفسيًا مختلفًا. وتم العثور على أوجه تشابه بين ذكريات الاقتراب من الموت، وتجارب المخدرات لأولئك الذين تناولوا فئة معينة من المخدرات. أحد الأدوية على وجه الخصوص، وهو الكيتامين، الذي أدى إلى تجارب مشابهة جدًا لتجربة الاقتراب من الموت. مثل عملية خروج الجسد الأثير، واجتياز النفق المظلم، واستعراض الإنسان لحياته الدنيوية بكل تفاصيلها. قد يعني هذا أن تجربة الاقتراب من الموت قد تعكس التغيرات في نفس النظام الكيميائي في الدماغ التي تستهدفها أدوية مثل الكيتامين. وتختلف تفسيرات الاقتراب من الموت من العلمي إلى الديني .

تشير أبحاث علم الأعصاب إلى أن تجربة الاقتراب من الموت هي ظاهرة ذاتية ناتجة عن "التكامل الحسي الجسدي المضطرب" الذي يحدث أثناء الأحداث التي تهدد الحياة، في حين أن بعض المعتقدات الدينية حول الحياة الآتية تتضمن أوصافًا مماثلة لتجربة الاقتراب من الموت. يقول بعض

المشكّكين في صدق هذه التجارب، أنَّ الأمر لا يعدوا أنْ يكون هلوسة، وقد وقف لهم الكثير من الباحثين والعلماء، ولكنَّ المثير للاهتمام في هذه التجربة هو أنَّها تكاد تكون متشابهة في جميع أنحاء العالم، ومن ديانات، وثقافات مختلفة، وتحدث للرجال، والنساء، والأطفال. والمثير للاهتمام أنَّ المكفوفين يستطيعون الرؤيا في هذه التجارب. ونشير في النهاية إلى أنَّ تكرار التجربة يعطيها مصداقية في المجتمع العلمي.

حسناً أنا أرى أن تعد لنفسك كوبا كبيرا من القهوة السوداء، لن الصفحات القادمة أكثر اثارة.

****

الرجل المعجزة

مما لا شك فيه أن زمن المعجزات قد انتهى منذ عصورًا طويلة، ولكن - للأسف - مازالت هناك بعض الأمور التي نجهلها عن الكون السرمدي. وكما ذكر ابن خلدون في مقدمته هناك بعض الكرامات التي يمنحها الله لبعض عباده لغرض لا يعلمه الا هو.

بدأت القصة في ذات يوم من أيام الصيف عام 1935م، عندما التقت اثنتان من زبائن أحد أشهر الوسطاء الروحانيين في ذلك الوقت، ألا وهو "لويس روجرز"، وكانت المفاجأة عندما قالت أحداهما: لم أكن أعلم أن السيد روجرز انتقل إلى سيدنى، لكن أختي قابلته هناك و ..

قاطعتها الأخرى في دهشة قائلة: لكن هذا مستحيل، فقد كان عندي بالبيت، طوال بعد ظهيرة الخميس الماضي، وقد استحضر لي روح زوجي الراحل!!

وكانت تلك هي الشرارة التي اشتعلت من بعدها أقاويل الناس، فأصبح الرجال يتحدثون على أن "لويس" يمتلك قدرت التواجد المزدوج، وهو ظاهرة تطلق على تواجد شيء ما (إنسان أو جماد أو غير ذلك) في مكانين مختلفين بنفس الوقت، أما الفتيات والسيدات المسنات فأصبحوا يتحدثون

عن وسامته وحلو حديثه، ونتيجة لكل هذه الضجة امتلأ دفتر مواعيد "لويس روجرز" فلم يعد لديه فراغ، وقد ساعدت انتشار تلك الشائعات، على مضاعفة تصديق الناس بهذا الرجل الغامض، وقد أصبح في نظرهم "كسشات" إلهة المعرفة عند الفراعنة، فكانوا لا يسألون إلا سؤال واحد، وهو إمكانية ظهوره في مكانين مختلفين في آن واحد، كان "روجرز" يطرق رأسه إلى الأرض دون أن يفتح عينيه، ثم يبتسم ابتسامته الحزينة الغامضة التي لا تفارق محياه.

في تلك الأثناء كان دكتور "مارتن سبنسر" الذي يملك غريزة شم الزيف والخداع من على بعد يستشيط غضبًا، أما عن "لويس روجرز" فتعددت وقائع ظهوره المزدوج، ولاحظ الشهود أنهم إذا كانوا يتكلمون مع "روجرز" المتدفق قوة وصلابة، فإن البديل يبدو للشهود الآخرين، منطوياً مشتت الانتباه، ومع تزايد وقائع المشاهدة وانتظامها قرر الدكتور "مارتن سبنسر" مدير معهد فكتوريا إجراء الدراسات على حالة روجرز، والذي فاجئ الدكتور "مارتن" بقبوله المباشر بالمشاركة وبكل ثقة بنفسه.

هكذا طلب دكتور "مارتن" منه ألا يغادر مدينة "ملبورن" لمدة ثلاث أسابيع، ثم أرسل بعض الاشخاص للمراقبة، وخلال ثلاثة أيام فقط، وبينما كان "روجرز" يجلس في إحدى الحجرات بمدينة "ملبورن"، اتصل فريق آخر من الباحثين

تليفونيًا من سيدني، ليقول إنهم عثروا عليه يسير في أحد شوارع مدينة سيدني.. ولكن كيف؟ أن المسافة بين "ملبورن" و "سيدني" هي خمسمائة ميل، هل يُمكن لكرة أن تكسر الزجاج وتخطئ في إصابته الزجاج في الوقت ذاته؟ هذا مُمكنًا بالنسبة للأجسام الصغيرة على الأقل: فحسب توقعات ميكانيكا الكم، يُمكن أن تتخذ الجُسيمات المِجهرية مسارات مُختلِفة في نفسِ الوقت، إلّا أن الأمر صعب بالنسبة إلينا كبشر. ولكن رغم المراقبة والملاحظة الدقيقة التي قام بها الدكتور "سبنسر"، والعلماء والباحثون في شئون ما وراء الطبيعة، وحتى رجال الشرطة، رغم كل هذا استطاع "لويس روجرز" الظهور في مكانين في نفس الوقت، مما جعل الدكتور "سبنسر" يستشيط غضبًا، ويقرر إجراء تجربة أخرى أكثر صعوبة، حيث حبس "روجرز" بعد الاتفاق معه في حجرته الخاصة في "ملبورن"، واتفق معه على كلمة سر يقولها إن استطاع أن يتواجد بوجود مزدوج، وكانت تلك الكلمة هي "ليلاك"، والغريب أن بعد ساعتين رن هاتف الدكتور "سبنسر"، فرفع السماعة ليسمع صوت عامل الهاتف يقول له : مكالمة من "سيدني"، يريد أن يخاطبك السيد "لويس روجرز"، فلم يصدق الدكتور الأمر إلا بعض لحظات قليلة حين سمع صوت "لويس" من "سيدني" وهو يقول له عبر أسلاك الهاتف : "كلمة السر هي

ليلاك".. فاقتحم الدكتور حجرة "لويس" ليجده جالساً بهدوء مبتسماً بثقة، مما أذهل العالم وأذهل كل الناس وسبب ضجة وجدل واسع في الأوساط العلمية، واقر في النهاية الدكتور بأن حالة لويس حالة نادرة وخاصة ولا يوجد لها اي تفسير علمي. وفي عام 1942م، مات لويس روجرز أثناء خدمته في القوات العسكرية الأسترالية في أوروبا، ومات معه سره الذي بقي دون حل. وما أكثرها من مواضيع وقضايا نقف أمامها حيارى في إيجاد حلول لها، فلا نجد غير أن نقول "يالا هذا الكون الغامض"

****

تسخير النار بقدرة العقل!

النار هي أحد العناصر الخمسة الرئيسية التي يتكون منها هذا العالم، إنها الضوء الذي يغذي الحياة، إنها التي من أجلها خاطر بروميثيوس بحياته وسرقها من جبل الأوليمب، انها احدى النعم التي امتن الله بها على الأنسان، ولكن حماقة الإنسان وعدم تحكمه في تلك النعمة يمكن أن يجعلها لعنة رهيبة تسبب أضرارًا مدمرة.

لقد حلم البشر منذ الأزل بعالم يعيش فيه بشر خارقون يصنعون المعجزات، ولعلها لم تعد مجرد أحلام. فنحن نرى بيننا الآن أشخاص يستطيعون تحريك الاشياء عن بعد، والتنبؤ بالمستقبل، والتخاطر، والعديد من القدرات التي توضع تحت إسم علم ما وراء النفس، ولعل أغرب تلك القدرات هي قدرة تسخير النار بقدرة العقل، وهي القدرة على إثارة الجزيئات داخل ذرات المادة لتغير درجة الحرارة، وتسريعها حتى تكون درجة حرارتها كافية للاشتعال إذا كانت المادة قابلة للاشتعال من قبل قوة الفكر أو الإرادة .

وكانت ومازالت القدرة على تسخير النار بقدرة العقل موضوعًا لعدد لا يحصى من التجارب والتحقيقات النفسية على مر السنين. ففي مارس 2011، وبالتحديد في مُقاطعة «أنتيك» الفلبينية اكتسبت "ايما" الفتاة التي تبلغ من العمر ثلاث سنوات اهتمام وسائل الإعلام بالقوة الخارقة على التنبؤ بالحرائق مع تفاصيل دقيقة عن المكان والزمان والأشياء التي ستلتهب، وليس هذا فقط بل هي أيضاً قادرة على إشعال النار بمجرد التلفظ بكلمة "نار!"

وقال رئيس بلدية المدينة إنه شهد إشعال وسادة بعد أن قالت الفتاة "نار ... وسادة". زعم آخرون أنهم شاهدوا الفتاة إما تتنبأ أو تتسبب في نشوب حريق دون أي اتصال جسدي بالأشياء. وقد ذكرت والدة الطفلة لأحدى وسائل الاعلام أن: "أي شيء استهدفته أبنتي بتفكيرها ليحترق فإنه سيحترق على الفور. من المفترض ألا أؤمن بهكذا امور، لكنني شاهدت ذلك يحدث بنفسي ."

وذكرت "نلفا" وهي شاهدة على قدرات الطفلة، وضحية أيضا لهذه القدرات، حيث قالت :

" -لقد اندلعت النار في عدة أماكن في منزلي، وكان من الغريب أن النار تندلع فقط حين تنطق "ايما" كلمة "نار" مشيرة للراديو، أو وسادة، أو بطانية، فإن هذه الأشياء كانت تشتعل. حتى ملابسنا في الخزانة لم تكن آمنة."

هكذا انتشر خبر "ايما" حتى وصل إلى أحد القساوسة الذي تدخل في القضية معتبرا أن المسؤول عن الحرائق هو الشيطان الذي يسكن جسد الفتاة. وسرعان ما أجرى الكاهن المحلي من الكنيسة الكاثوليكية عملية طرد الشيطان الذي يسكن جسد الفتاة الصغيرة.

قال بعض المشككين: " لا يوجد دليل قاطع على أن تسخير النار بقدرة العقل ظاهرة حقيقية.. بتأكيد تلك الحالة المزعومة هي خدع ناتجة عن الخداع، ثم أن أدمغتنا لا تستطيع توليد طاقة كافية لإشعال أي شيء."

في الواقع يصعب التصديق أنها خدعة، فإن عائلة "ايما" ينتمون إلى الطبقة الاجتماعية الفقيرة، ووالدها ليس نجيب ساويرس الفلبيني، أنهم حقا لا يمكنهم تحمل تكاليف حرق تلك الأشياء المهمة التي لا يمكنهم الحصول عليها بسهولة. ثم أن "ايما" ليست الشخص الوحيد القادر على إشعال الحرائق بعقلة، ففي العام 1882 نشر أحد الاطباء المحليين مقالاً في إحدى الصحف المحلية عن شاب عمره سبعة وعشرون عاماً كان طالبا عنده. أصبح هذا الشاب، الذي يدعى ويليم اندوورد، أحد المشاهير من خلال توليد النار بواسطة انفاسه، وكان يستعرض قدراته من خلال التلاعب بيديه ثم يأخذ منديل أحدهم ويمسكه قريبا إلى فمه، ثم

يفركه بقوة بيديه أثناء التنفس عليه، وعلى الفور تنفجر النيران حتى تُستهلك المنديل.

اقترح السحرة والعلماء أن أندروود كان يخفي قطعة من الفسفور في فمه، وبعد أن يبصقها على المنديل، يستخدم الحرارة من أنفاسه والحرارة من فرك يديه معا لإشعال الفسفور، مما يؤدي الى اشعال النار. إلا أن هذا الادعاء ضعيف حيث أن الفسفور مادة شديدة السمية، وكذلك رطوبة الفم تعيق من عملية اشتعاله إذا كان من النوع الأقل سمية.

سواء كان تسخير النار بقدرة العقل حقيقيًا أم لا، فلا يزال التعمق في علم ما وراء النفس هو امر مسلي ويأخذنا إلى آفاق ساحرة وعوالم مازالت مليئة بالمفاجأة.

الرجل الذي رأى الغد

»إن الطاعون الكبير للمدينة البحرية لن يتوقف حتى يتم الانتقام لموت الدم العادل، المَّدان بثمن دون جريمة، من السيدة العظيمة التي أغضبها التظاهر «

عام 1555 صدرت الطبعة الأولى من كتاب "النبوءات" للعراف الفرنسي الشهير "نوسترادامـوس"، والذي قد تنبأ بمجموعة من التنبؤات الشيطانية التي سوف تحدث في زمانه إلى نهاية العالم. وقد كتب "داموس" الكتاب بشكل مقاطع شعرية من أربعة أبيات مبهمة المعاني ومليئة بمختلف المصطلحات من لغات متعددة مثل اللاتينية، والإيطالية، وغيرها .

"قرب المينا وفي مدينتي ستحدث كارثتان لم ير التاريخ لهما مثيل ،

جوع، نار، طاعون ،

وفي الداخل، ناس يهربون خارجا وسوف يبكون من أجل الحصول على مساعدة الله العظيم ."

في غضون سنوات قليلة من استقرار "نوسترادامو‌س" في مدينة الصالون، بدأ بالابتعاد عن الطب وأصبح يمضي ساعات طويلة من اليوم يتأمل أمام وعاء مليء بالماء والأعشاب. التأمل سيجلب غيبوبة ورؤى. ويعتقد أن الرؤى كانت أساس توقعاته للمستقبل. وقد قصد "نوسترادامو‌س" استخدام مصطلحات من لغات متعددة في كتابة "النبوءات"، وذلك حتى يتجنب مقاضاته على أنه ساحر أو مشعوذ، فقد قصد خلق حالة من الإرباك في تسلسل التنبؤات فلا تنكشف أسراره للناس العاديين، وهذا ما جعل كتاب "النبوءات" أشهر كتب المنجمين في العالم، وقد نسجت حولها هالة كبيرة من الغموض والإثارة .

يُقال أن "نوسترادامو‌س" تنبأ بآلاف التوقعات على مدار حياته. ويقال أيضاً أنه توقع حريق لندن العظيم، وهجمات 11 سبتمبر على البرجين التوأمين، وأيضاً اغتيال جون كينيدي وروبرت كينيدي .

"الرجل العظيم في أعظم دولة تصعقه صاعقة في عز الظهر، وأخوه بعد ذلك "

وتنبأ أيضاً بصعود هتلر ونابليون ودونالد ترامب إلى أعلى المناصب .

ففي الرباعي الأول: 60 تنص على "حاكم ولد بالقرب من إيطاليا ... إنه أمير أقل من جزار". يمكن تفسير عبارة "بالقرب من إيطاليا" على أنها تغطي نطاقًا واسعًا جدًا من الجغرافيا، ولن "نوستراداموس" لم يقدم تفاصيل عن الحقبة التي سيعيش فيها هذا الحاكم. وبسبب هذا الغموض، ولن نصوص التنبؤات هي نصوص عامة وليست دقيقة، فسر البعض هذه الرباعية على أنها تشير إلى نابليون، ولكن الآخرين لا يزالون يشير إلى هتلر .

"سيتغلب الأسد الصغير على الأسد الكبير

في ساحة القتال وفي قتال فردي

سيفقع عيناه في القفص الذهبي

جرحان في مكان واحد ثم يموت موته قاسية ."

بعد مرور ثلاث سنوات على كتابة تلك النبوءة، وعند غروب الشمس، وبعدما انتهت المبارزة بين الملك هنري والقائد الشاب للحرس الأسكتلندي غابريل، أصر الملك هنري على جولة ثانية بعد أن انتهت الاولى بالتعادل، وفي أثناء المبارزة ثقبت شظية من رمح غابريل خوذة الملك، واستقراره خلف

العين ناحية المخ، فارتفعت صرخة رعب من الحشد، حقا لقد تحققت النبوءة، كان الملك هنري له رمز أسد على درعه الذهبي، وكان قائد الحرس علمه يحمل رمز شبل صغير قوي .

"ولدتَ في الظل وخلال يوم مظلم، وستكون صاحب السيادة في العالم "

في عام 1550م انتقل "نوسترادامو‌س" إلى مدينة صالون الفرنسية - المكان الذي بدأ فيه كتابة تنبؤاته الشيطانية.
ووقعت حادثة غريبة جداً أثناء زيارة "نوسترادامو‌س" إلى مدينة صالون، عندما طلب رؤية شامات موجودة على جسم صبي في الحاشية، كان ذلك شكلاً من أشكال التنبؤ الشائعة في ذلك الوقت، إلا أن الصبي خجل وفر هارباً. لم يكن بطبع هذا أغرب شيء، بل الأغرب منه أن في اليوم التالي توجه "نوسترادامو‌س" لرؤية الصبي وهو نائم، ثم أعلن بعد ذلك أن هذا الصبي سيكون في يوم من الأيام ملكاً على فرنسا، وكان هذا الشيء غريبا جدا، فقد كانت كاترين زوجة ملك فرنسا "هنري الثاني" الذي توفي لها ولدان على قيد الحياة، وكان ذلك الصبي هو "هنري النافاري" الذي أصبح فيما بعد الملك "هنري الرابع". وقد حازت نبوءات "نوسترآداموس" اهتمام الناس منذ وفاة الملك هنري الرابع سنة 1559، حيث كان "نوسترادامو‌س" قد تنبأ بموت ابن الملك هنري الرابع

مسموما بعدما يموت أباه، وهذا ما حدث بالفعل، مما لفت إليه أنظار الشعب الفرنسي كله. وعلى الرغم من أن الكثيرين يعتقدون أن توقعاته كانت مجرد مصادفات، إلا أن الكثيرين من الحمقى ما زالوا يعتقدون أن "نوستراداموس" كان نبيًا حقيقيًا. ويعتبرُ "بيتر ليميسوربيه" أنّ "نوستراداموس" ليس طبيبًا ولا عالمَ فلَكٍ ولا حتى نبيًا، بل هو مجرد رجلٍ أيقنَ أن التاريخَ يعيدُ نفسه، وبذلك تَوقعَ أن بعض الأحداثِ التي انقضت ستُعيدُ نفسها في المستقبل .

يقول بعض المشككين :

إن ما جاء في نبوءات "نوستراداموس" مكتوب بلغة بها بعض التعقيد، لذا يصعب تفسيرها بدقة، وحتى ما يفسر منها بعد ذلك تجده كلاماً مثل الماء يأخذ شكل أي قالب يوضع فيه، وعلى هذا يسهل تحوير الكلام بطيه كيف شاء القارئ ليسقطه على ما يريد .

ويقول البعض الآخر :

إن قدرات "نوستراداموس" حقيقية وتقع في نطاق علم ما وراء النفس (البارا سيكولوجي)، وأنها ليست مجرد خرافات أو تسخير الجن، فأتنبأ مثله مثل باقي القدرات فوق الحسية الخارقة، كالتخاطر، والجلاء البصري، والاستشفاء، وتحريك الأشياء، والتنويم الإيحائي (التنويم المغناطيسي). وقد تم

تقديم قدر كبير من الأدلة على التنبؤ، ولكن لم يتم قبول أي منها كدليل علمي صارم على الظاهرة .

ويتفق معظم العلماء أن التنبؤ يقوم بانتهاك مبدأ (السببية)، وهي موضوع فلسفي وبشكل أخص في فرع فلسفة العلوم، وتعني أن التأثير لا يحدث قبل سببه، أي أن الحدث الثاني نتيجة للأول .

ثم انه لم ينتج عن مجموعة كبيرة من العمل التجريبي أي دليل علمي مقبول على وجود التنبؤ. وبالتالي، يُعتبر التنبؤ على نطاق واسع علمًا زائفًا بسبب نقص البيانات العلمية التي تثبت وجوده بالفعل .

إذا كيف استطاع رجل فقير يعيش في القرن السادس عشر أن يتنبأ بالحرب العالمية الاولى والثانية، وحرب الخليج، والثورة الفرنسية، وركوب الإنسان الطائرات، وغيرها من الأحداث الكبيرة في التاريخ الإنسان .

هل كان "نوستراداموس" مجرد رجل ذكي تَوقعَ أن بعض الأحداثِ التي انقضت ستُعيدُ نفسها في المستقبل؟ وهل ساعدته تشبيهاته الخيالية على مواكبة كل العصور؟ أم انه حقا يملك قدرة التنبؤ .

نحن لا نستطيع أن ننكر وجود التنبؤ، كما لا يمكننا تأكيده، إذا هل انتهت قصتنا عند هذا الحد؟ لا أظن ذلك، فأنا أرى من بعيد رجل يتنبأ باغتياله .

****

قريبنا الأمريكي

في الرابع عشر من أبريل 1865، وبينما كان رئيس الولايات المتحدة الأمريكية السادس عشر أبراهام لينكون يحضر مسرحية (قريبنا الأمريكي)، وبينما كان الجمهور يضحك ضحكات عالية على نكت الممثل (هاري هوك)، دخل الممثل المسرحي المعروف جون ويلكس بوث المقصورة التي كان يجلس به أبراهام و حاشية، والتي كانت عبارة عن مقصورتين انتزع الجدار الفاصل بينهما، ثم أخرج بوث مسدس وأطلق النار على أبراهام لينكون لتصيب الطلقة رأسه من مسافة قريبة، قام الرائد راثبون بالقفز بسرعة من كرسيه محاولا منع بوث من الهرب، لكن هذا الأخير أخرج سكيناً وطعن به الرائد راثبون بشكل عنيف في ساعده الأيسر، ثم هرب من المسرح قبل أن يستطيع أحد مهاجمته، وفي الخارج كان هناك حصان في انتظاره، وجه بوث ضربة قوية للرجل الذي كان يحرس الحصان في جبهته بمقبض سكينه ثم هرب ممتطياً الحصان.

حاول بعض الأطباء الذين كانوا في المسرح مساعدة أبراهام، ولكن الرصاصة اخترقت جمجمة أبراهام وكسرت جزءاً منها على نحو خطير حتى وصلت الجانب الأيسر من دماغه فوق

عينه اليمنى تماماً. هكذا مات الرجل الذي قام بإنهاء العبودية فعليا في الولايات المتحدة في ربيع عام 1865، ولكن الغريب في الأمر أن أبراهام تنبأ بعملية الاغتيال قبلها بأسبوعين، وفقاً لصديق أبراهام وكاتب سيرة حياته، فإنه قبل ثلاثة أيام من عملية الاغتيال، ذكر أبراهام لصديقه عن حلم راوده، قائلا:

"قرابة عشرة أيام، خلدت للنوم متأخراً جداً، لقد كنت أنتظر برقيات من الجبهة، لقد دخلت في نوم عميق بسرعة لأنني كنت متعباً، ثم بدأت أحلم، كان هناك سكون طويل، ثم سمعت تنهدات ضعيفة، وكأن هنالك عدداً من الناس يبكون. تركت سريري وتجولت في الطابق السفلي، كان هناك سكون تكسره بعض الصرخات، لكن الباكين لم يكونوا ظاهرين، لقد تفقدت كل غرفة، لم أجد شخصاً، لكن الصرخات كانت تشتدّ كلما مررت، رأيت ضوءاً في كل غرفة، كل شيء كان مألوفاً بالنسبة لي، لكن أين كل هؤلاء الذين كانوا يبكون وكأن قلوبهم ستتحطم؟ لقد كنت حائراً ومذعوراً، ما معنى كل هذا؟ بقيت على هذه الحال حتى وصلت إلى الغرفة الشرقية ودخلتها، هناك وجدت مفاجأةً مقززة، كان أمامي نعش داخله جثة محاطة بملابس جنازة، وحول النعش جنود موضوعه كالحراس، وكان هناك تجمع من الناس مغطاة

وجوههم يحدقون بشكل حزين على الجثة، وآخرون يبكون.
"من الميت في البيت الأبيض؟" سألت أحد الجنود،
"الرئيس، لقد اغتاله قاتل" كانت إجابته، بعدها بدأ الحشد في البكاء بصوت عال، مما أيقظني من حلمي، لم أعد للنوم في تلك الليلة، وعلى الرغم من أنه مجرد حلم فقد صرت منزعجاً بشكل غريب منذ ذلك الوقت."

يُقال إن حوالي ستون بالمئة إلى سبعون بالمئة من معلومات الأحداث المستقبلية تحدث في الأحلام. وأحياناً ما تكون الأحلام غامضة ومجردة وقد تحتوي فقط على علامات ورموز.

في الواقع إن معظم الأحلام التي تتنبأ بالمستقبل نادرًا ما تكون عن أحداث سعيدة في المستقبل، فمعظمها إما عن الموت، أو حضور أحد الجنازات، أو مرض شخص عزيز.
ومن المسلم به أن منذ العصور القديمة وارتبط التنبؤ بالأحلام، ولكن الأمر ليس مقتصر على الأحلام فقط، فيمكن تلقي معلومات حول المستقبل في ومضات من الرؤى.
ويمكنك أيضًا أن تمشي في الشارع وتظهر صورة في رأسك فجأة. ويمكنك أيضًا تلقي معلومات حول المستقبل من خلال أحاسيس مثل القلق ومشاعر الفزع. ولكن مثل هذه

الادعاءات برؤية المستقبل لم تكن أبدا من دون منتقديها المتشككين. كما هو الحال مع الظواهر الخارقة الأخرى، وغالبا ما يشار لعلم ما وراء النفس من قبل المشككين بأنه أحد العلوم الزائفة، والعلم الزائف هو التصريحات، أو الاعتقادات، أو الممارسات التي يتم الادعاء بأنها علمية وحقيقية معاً، دون أن تكون متوافقة مع المنهجية العلمية، ولكن المؤمنين بعلم ما وراء النفس يرفضون هذا الاسم باعتبار أن عددا من المعاهد الأكاديمية، وعدد من الشخصيات العلمية المرموقة تعتقد أن هذا الاختصاص جدير بالتحليل والمتابعة.

هل سبق لك أن حلمت بشيء وحصل ما رأيته في الحلم تماماً؟ إجابتك هي نعم حدث معي! حسناً، أنت لست وحدك يا صديقي/صديقتي. ففي عام 1978م، وبالتحديد في مُقاطعة "ويلز" البريطانية، تم القبض على أحد الأشخاص في القطار المتوجه إلى مدينة "جلاسكو" الأسكتلندية، وذلك لأنه لم يقم بدفع ثمن التذكرة، يبدو أن ذلك الرجل ليس محترفاً في الهروب من "الكمسري"، كان الرجل يتكلم بعصبية شديدة، ويتعلل بأنه نسى أن يدفع ثمن التذكرة من فرط الاستعجال، وأنه يجب أن يتوجه إلى "جلاسكو" في أقرب وقت ممكن بأي ثمن ليُحذر سكانها من زلزال مُدمر سيضرب هذه المدينة، فلم يكن من رجال الشرطة سوى أن سخروا منه،

ومن ناحية أخرى تناقلت بعض الصحف المحلية خبر هذا الرجل الأحمق، الذي كان يُحاول أن يُقنع الشرطة بأن هناك زلزالاً مُدمراً سيضرب اسكتلندا، فقط ليُنسيهم موضوع التذكرة التي لم يقم بدفعها، ولكن المدهش أنه بعد ثلاثة أسابيع، ضرب زلزال مُدمر مدينة "جلاسكو"، وأصيب على إثره كثيرون، ورافقه تدمير كثير من الأبنية.

وتك ليست الواقعة الوحيدة، وإنما هناك مئات الوقائع، ولكن- بطبع- لا يُمكن بأيّ حالٍ مِن الأحوال جمع كل حالات التنبؤ التي حدثتْ في السنواتِ الماضية، لأنها كثيرة جداً لو تركت العنان لأفكاري في هذا الموضوع، فإنني أحتاج المزيد والمزيد من الصفحات، فعلم ما وراء النفس مليء بالقصص الغريبة، وهو دائماً محل نزاع وجدال ونقد، قد تقول إن كل هذا كلام فارغ، لكن لا تنكر انه يحدث.. وسيظل يحدث.. ودورنا أن نُحاول أن نجد تفسيراً علمياً لتلك الخوارق.

التحريك العقلي

سنة 1960م حدث شيء غريب، حيث قامت إحدى القنوات ببث فيلم مصور يظهر امرأة روسية تقوم بتحريك أدوات المائدة عبر النظر إليها، كما أن تلك المرأة استطاعت أن تكسر بيضة وتفصل الصفار عن البياض دون أن تمسك بها، وهو الأمر الذي نسميه بالتحريك العقلي، وهو القدرة على التأثير على العالم المادي وتحريك الأشياء عن بعد أو بإستخدام قوة العقل دون أن يكون بين الشخص وهذا الشيء أي إتصال مادي، والذي يدخل ضمن دراسة ما وراء علم النفس (الباراسيكولوجي)، وهو الدراسة العلمية لظواهر معينة مزعومة، لا تخضع للافتراضات العلمية المعروفة.

حسناً.. هل يمكن لأي أحد تعلم تحريك الأشياء عن بُعد؟ أم أن هذه الظاهرة خاصة بهذه المرأة الروسية فقط؟ هذا ما سوف نحاول أن نعرفه اليوم.

كانت تلك المرأة الروسية هي نينا كولاجينا، وهي من أشهر الأشخاص الذي اعتبروا انهم يملكون قدرة على تحريك الأشياء عن بعد.

كانت نينا كولاجينا طفلة في الرابعة عشر، عندما اجتاحت ألمانيا بقيادة الزعيم النازي هتلر روسيا، فالتحقت كولاجينا

مع باقي أسرتها للجيش الأحمر الذي يُقاتل الألمان، وبالطبع لم تكن تمتلك كولاجينا، ولا حتى عائلتها، رفاهية اتخاذ القرار، بل كانوا مجبرين جميعًا مثل باقي الشعب الروسي، فإما الانضمام إلى الجيش الأحمر والموت برصاص فيرماخت (القوات المسلحة الموحدة لألمانيا) أو التمرّد والموت برصاص الروس، كان الأمر أشبه باختيار الميتة التي تناسبهم.

خرجت نينا كولاجينا من الجيش، بسبب إصابة تلقتها في أحد المعارك، ولكن الإصابة لم تكن خطيرة إلى حد الإعاقة أو التسبب في حدوث عاهة، وذلك بدليل أن كولاجينا قد تزوجت وأنجبت وكونت أسرة سعيدة إلى حدٍ كبير. وفي أحد الأيام تفقد كولاجينا وعيها وينقلوها إلى المستشفى، وهنا بداية الأمور الخارقة، كانت كولاجينا تتمكن من معرفة الأشياء الموجودة داخل جيوب الممرضات دون أن يخبرها أحد، وكذلك كانت قادرة على تمييز لون الخيط دون أن تراه، وإنما فقط بمجرد اللمس، وهنا بدأ سؤال واحد يتردد.. كيف استطاعت كولاجينا فعل هذا؟! ومنذ متى؟!

زعمت كولاجينا أنها اكتشفت بالصدفة قدرتها على تجربة تلك الظاهرة التي اعتقدت أنها ورثتها عن والدتها، عندما أدركت أن الأشياء تتحرك تلقائيًا حولها عندما كانت غاضبة، الأمر الذي خلق ضجة كبيرة بين العلماء والباحثين النفسيين الذين بدؤوا البحث عن تفسيرات لتلك الظاهرة .

وفي 10 مارس 1970 جرت إحدى أكثر تجارب كولاجينا شهرة في مختبر لينينغراد، حيث كان العلماء فضوليين لمعرفة ما إذا كانت قدرات كولاجينا تمتد إلى الخلايا والأنسجة والأعضاء أم لا، لذا جعلوا كولاجينا تقوم باستخدام طاقتها لوقف ضربات قلب الضفدع العائم في المحلول، هكذا ركزت كولاجينا باهتمام على قلب الضفدع وجعلته ينبض بشكل أسرع، ثم أبطأ، ثم توقف قلب الضفدع نهائيا. وفي اليوم التالي قام العلماء بي أجلسها على إحدى أطراف طاولة صغيرة، وفي الطرف الآخر جلس أحد العلماء أمامها، وقد تم توصيل عدة أقطاب بجسده لمعرفة أي تأثيرات قد تحدث على أعضاء جسده المختلفة، فقامت كولاجينا بالتحديق في منطقة صدر العالم الجالس أمامها، ثم بدأت تحرك يديها أمامه من بعيد وبدا على وجهها الألم والتركيز الشديد وبدأت عضلاتها بالإنقباض، وفجأة قام أحد العلماء القائمين على مراقبة الأجهزة الطبية المتصلة بجسد العالم الجالس أمام كولاجينا بالإشارة إليها بالتوقف فوراً، لن الأجهزة الطبية سجلت نشاطا كبيرا في تحرك عضلات القلب الخاصة بالعالم الذي يجلس أمامها، وقد بدا كأنه يعاني من أزمة قلبية، وما إن توقفت كولاجينا حتى سجلت الأجهزة الطبية إستقرار عضلات قلب العالم وعودتها إلى إنقباضاتها الطبيعية.

عبر العديد من الأفراد أن الموضوع بشكل عام علمًا زائفًا، وعبرت المنظمات عن شكوكهم فيما يتعلق بالتحريك العقلي، مثل مؤسسة جيمس راندي التعليمية، وهي المنظمة التي أدارت تحدي المليون دولار للخوارق، والتي قررت مَنح تلك الجائزة لأي شخص يمكن أن يظهر قدرة خارقة للطبيعة وفقا لمعايير الاختبار العلمي المتفق عليها.

كتب "ماسيمو بوليدورو" أن أوقات التحضير الطويلة والبيئات غير المنضبطة (مثل غرف الفنادق) التي جرت فيها التجارب مع كولاجينا تركت الكثير من الاحتمالات للخداع .

وقال بعض المشككين أن كل ما قامت به كولاجينا يمكن بسهولة أن يقوم بها شخصاً من ذوي الخبرة في خفة اليد، ومن خلال وسائل مثل الخيوط المخفية، أو قطع صغيرة من المعدن المغناطيسي، أو المرايا، ولكن.. كيف أوقفت قلب الضفدع؟!

والعالم الذي بدا كأنه يعاني من أزمة قلبية، وما إن توقفت كولاجينا حتى سجلت الأجهزة الطبية إستقرار عضلات قلبه.

إن الأمر معقد حقاً، وما زاده تعقيداً هو ظهور أكثر من حالة بعد ذلك لتحريك الأشياء عن بُعد، فالحالة التالية لشاب في مقتبل العمر اسمه خوان، وهو شاب من أصل كوبي يعيش في ولاية ميامي، ويعمل كاتبًا في أحد مستودعات الهدايا، صرح خوان أنه اكتشف صدفة أنه يملك قدرة خارقة تمكنه من

تحريك الأكواب الموجودة فوق رفوف المكتبة و جعلها تطير داخل المستودع ثم تقع على الآراض وتتحطم، وكان يقوم بذلك وهو جالس وراء مكتبه، هذا الأمر أثار اهتمام وليام رول مدير مؤسسة البحوث الفيزيائية في ولاية كارولاينا الشمالية، والذي صرح بأن تلك القدرات هي عبارة عن روح شريرة غير مرئية تسكن الشخص وتجعله قادرا على تحريك الأشياء بالنظر إليها عن بعد.

لكن المثير في الأمر أن علماء علم النفس أشاروا أنه يمكن لأي شخص طبيعي أن يقوم عن طريق أداء بعض التمرينات بالتدريب على تحريك الأشياء عن بعد، وقد زعم بعض الأشخاص أن الأمر نجح فعلًا، لكن يبقى هناك شيئًا من الغموض عن هذه الطاقة الخفية التي تسير عبر ذرات الهواء ويمكنها التأثير في الأشياء المادية دون أي تواصل مادي بينها.

قد لا تقتنع بعلم ما وراء النفس، ولكن لا تنكر أنك تتمنا أن تكون لك القدرة على التحريك العقلي، أن علم ما وراء النفس هو ظاهرة غير قابلة للتفسير، ولكن.. هل يمكن تفسير كل الاحداث في الكون؟ بطبع لا، هل في المستقبل سوف يستطيع جميع البشر تحريك الأشياء عن بُعد؟ لا أعرف، ولكني أتمنى أن أكون هنا لكي أعرف.

التخاطر

يعيش الإنسان في عالمين: الأول هو العالم المادي. والثاني هو العالم اللامادي.

فأولهم معروف وهو الذي تهيمن عليه الإدراكات الحسية، كالسمع، والبصر، والذوق، واللمس، والشم، والآخر هو العالم الروحي، وهو الذي تهيمن عليه أبجدية غير معروفة لحد الآن ويتخبط العلماء في فك رموزها، ولكن حسب فهم العلماء إن التخاطر يحدث عندما يهيمن العالم الروحي على العالم الحسي، أي انخفاض قدرات عالم الحس. والتخاطر هو المقدرة على التواصل ونقل المعلومات من عقل إنسان لآخر، أي أنه يعني القدرة على اكتساب معلومات من أي كائن واعي آخر، وقد تكون هذه المعلومات أفكارا، أو مشاعر، أو غير ذلك .

وعلى الرغم من كل هذا الجدل الدائر حول التخاطر، إلا أنه موجود في الحياة اليومية ومعظم الناس إن لم نقل كل شخص قد اختبره، على سبيل المثال حين يفكر شخص بشخص ما وبعد مدة قد لا تزيد عن دقائق يجده يتصل به، أو يدق جرس الباب، أو قد يصله أخبار عنه، أو عندما تشعر

الأم بخوف أو بتغير بدقات قلبها وكأن أحدًا أخبرها بمكروه ما قد أصاب أحد أولادها، والأمثلة كثيرة. فمثلا مثل حادثة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، عندما كان يخطب يوم الجمعة على منبر رسول الله في المدينة، فإذا به ينادي بأعلى صوته أثناء خطبته: "يا سارية الجبل، الجبل، من استرعى الذئب الغنم فقد ظلم". فلما سئل عن تفسير ذلك، قال: "والله ما ألقيت له بالاً، شيءٌ أتى على لساني." فلما سئل علي بن أبي طالب وكان حاضراً: "ما هذا الذي يقوله أمير المؤمنين؟ وأين سارية منّا الآن؟"

فقال: "ويحكم! دعوا عمر فإنه ما دخل في أمر إلا خرج منه."

ثم ما لبث أن تبينت القصة فيما بعد، فقد أتى سارية إلى عمر في المدينة، وقال: "يا أمير المؤمنين، تكاثر العدو على جنود المسلمين وأصبحنا في خطر عظيم، فسمعت صوتاً يشبه صوتك ينادي: "يا سارية الجبل، الجبل، من استرعى الذئب الغنم فقد ظلم". عندئذ التجأت بأصحابي إلى سفح جبل واتخذت ذروته درءاً لنا يحمي مؤخرة الجيش، وواجهنا الفرس من جهة واحدة، فما كانت إلا ساعة حتى فتح الله علينا وانتصرنا عليهم."

ولقد ذكر ابن خلدون في مقدمته هناك بعض الكرامات التي يمنحها الله لبعض عباده لغرض لا يعلمه الا هو .

ويقول العلماء إن الإنسان كان يعيش على كوكب الأرض منذ زمن طويل ومن المؤكد إنه طور قدرات لتساعده في البقاء والمحافظة على نسله، وكان ذلك خلال الثلاثة آلاف سنة الأخيرة، ثم لم يعد بحاجة لها مع ظهور الحضارات، والأديان السماوية، ولكن تلك القدرات بقيت مدفونة. وهي ما زالت موجودة عند البدو وتعرف بظاهرة "قص الأثر" التي تمكنهم من البحث عن الناس المفقودين في الصحراء، وحادثة "يا سارية الجبل، الجبل" دليل على التخاطر. ولكن برغم هذا هناك بعض المشككين الذين يقولون: "ظاهرة التخاطر ليست علماً معتمداً في الوقت الحالي، وهذا بسبب أنها لا يمكن تكرارها.. بينما من أهم شروط الظاهرة العلمية قابليتها للتكرار، وهذا ما يجعل المجتمع العلمي يصنفها ضمن العلوم الزائفة."

إلا أن هناك بعض الباحثين في علم ما وراء النفس يجزمون بأن ظاهرة التخاطر هي ظاهرة علمية وصحيحة. على الرغم من ذلك، بعض النقاد ينفونها ويعتقدون بأن الإيمان بها هو نتيجة أوهام شخصية.

أسمعك تقول: ومن عسانا نصدق؟

أنا حقاً لا أعرف، فما أكثرها من مواضيع وقضايا نقف أمامها حيارى في إيجاد حلول لها، فلا نجد غير أن نقول "يالا هذا الكون الغامض"